

# منفى وعودة إلى مسكة

أحمد باركلي  
ترجمه عن الانجليزية: رواء بقاعي

للإفك:

مجلة النكبة التي لم تنته

نحو عودة لاجئين فلسطينيين

العدد ٦، أيار ٢٠١١

"في نيسان ٢٠٠٥، وعشية الذكرى الـ ٥٧ للنكبة، قامت مجموعة من أبناء القرية الشباب، ممن يعدّون على الجيل الثالث للنكبة وممن بقوا على مرمى حجر من قريتهم، في الطيرة، بتأسيس "لجنة مهجري قرية مسكة"، وقد قرروا توثيق قصة قريتهم ومعاناة أجدادهم، صونا للمستقبل. نجحت هذه اللجنة بترميم مبنى المدرسة، خلال وقت قصير، وقامت بالتعاون مع جمعية "ذاكرات - زوخروت" الإسرائيلية التقدمية بعدة نشاطات. كان رد السلطة الإسرائيلية عليها همجياً، إذ قامت السلطة بهدم مبنى المدرسة الذي تحول بعد ترميمه إلى ناد ثقافي، وفيما يلي، سرد مقتضب لتسلسل الأحداث:

- مبادرتنا في أيار ٢٠٠٥، وتتويجاً للترميمات، كانت إحياء ذكرى النكبة بزيارة ضخمة إلى القرية شارك بها العشرات من أبناء القرية والمتضامنين إضافة إلى أعضاء جمعية "ذاكرات - زوخروت". خلال هذه الزيارة تم غرس أشغال الزيتون والتين. إلا أنه بعد أيام قليلة، اقتلعت هذه الشجيرات وقامت السلطات بتجريف الطرق المؤدية إلى المدرسة وبقفال بابها!

- مبادرتنا تطورت بإعادة فتح مبنى المدرسة، بل وبالإعلان عنه "ناديا ثقافيا" وعقد الأمسية الثقافية الأولى في ١١,٦,٠٥ حيث تم استضافة الكاتب سلمان ناطور والذي عرض مسرحيته الهادفة "ذاكرة". وهنا جاء رد السلطة و"مديرية أراضي إسرائيل"، بتطويق المدرسة وتسييجها بشكل كامل.

- مبادرتنا استمرت بتنظيم أمسيتين حاشدتين في تموز ٢٠٠٥. في الأمسية الأولى تمت استضافة الكاتب التقدمي، عراقي الأصل، سامي ميخائيل، والأخرى كانت باستضافة عشرات الفنانين والرسميين، إذ أقمنا برنامجاً فنياً سياسياً ضد تطويق المدرسة وجعلنا من السياج لوحة فنية احتجاجية. ردّت السلطة بعصبية بلهاء ومزقت تلك اللوحات.

- مبادرتنا للسنة التالية، وتحديدًا في ٣,٥,٠٦، كانت إحياء الذكرى الـ ٥٨ ليوم النكبة بعرض مسرحية "العم مئى"، التي يسرد الفنان لطف نويصر من خلالها، قصة النكبة للأطفال. رد السلطة هذه المرة جاء مجنوناً للغاية، فقد قامت جرافاتها بهدم المدرسة نهائياً وغرس أشجار الحمضيات مكانها للتغطية على الجريمة، فكان ردّنا في ١٩,٨,٠٦ بإعادة ترسيم المدرسة المهذومة وبغرس نحو ٣٠ يافطة حملت أسماء طلاب تعلموا في هذه المدرسة قبل النكبة.

- مبادرتنا في السنة التالية، في أيار ٢٠٠٧، كانت إحياء ذكرى النكبة للمرة الأولى بدون مبنى المدرسة، إلا أننا أقمنا برنامجاً خاصاً للأطفال

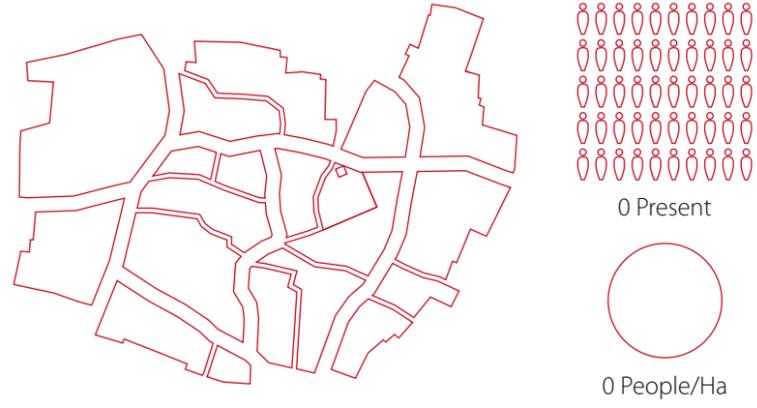
ليرسموا على جدارية عملاقة، القرية كيف يتخيلونها. وهذه المرة، وبعد أن فهمت بأن الهدم لم يثننا، امتنعت السلطة عن الرد بتاتا".

نشرعمر إغبارية هذا التقرير للجنة مهجري مسكة في نيسان من عام ٢٠٠٩، أي قبل نحو عامين من تحرير هذا العدد من "سدق"، وذلك في "ذاكرات مسكة"، كتيب أصدرته جمعية زوخروت بمناسبة زيارة ميدانية إلى مسكة. وخلال هذين العامين، تواصلت الفعاليات لإحياء ذكرى النكبة والتخطيط للعودة. وأصبحت قرية مسكة تباعاً موقعاً هاماً للنشاط السياسي. وهو ما يفسر تسليط الضوء لثلاثة من المواضيع المطروحة في هذا العدد من "سدق" على إمكانيات العودة إلى مسكة.

لقد تم تطوير مشروع احمد باركلي من خلال برنامج " فكفكة استعمار فن المسكن المعماري" (Decolonizing Architecture Art Residency (DAAR) ، الذي يادر إليه كل من ساندي هلال والساندرو بيتي من بيت ساحور. وتعتمد رواية أحمد في "إعادة الانبعاث"، على مراحل أربع: الأولى، تدخلات رمزية في موقع القرية؛ الثانية، عودة المواطنين الفلسطينيين المقيمين في إسرائيل إلى مسكة؛ والثالثة، العودة الفعلية لأسر أخرى، والتي تبدأ باسترجاع النسيج الاجتماعي الحضري؛ والرابعة، ترسيخ النسيج الاجتماعي الحضري، ومن ثم منح العائلات الأخرى الحق في الاختيار بين العودة وبين بقائها كغائبة.

## المرحلة الأولى

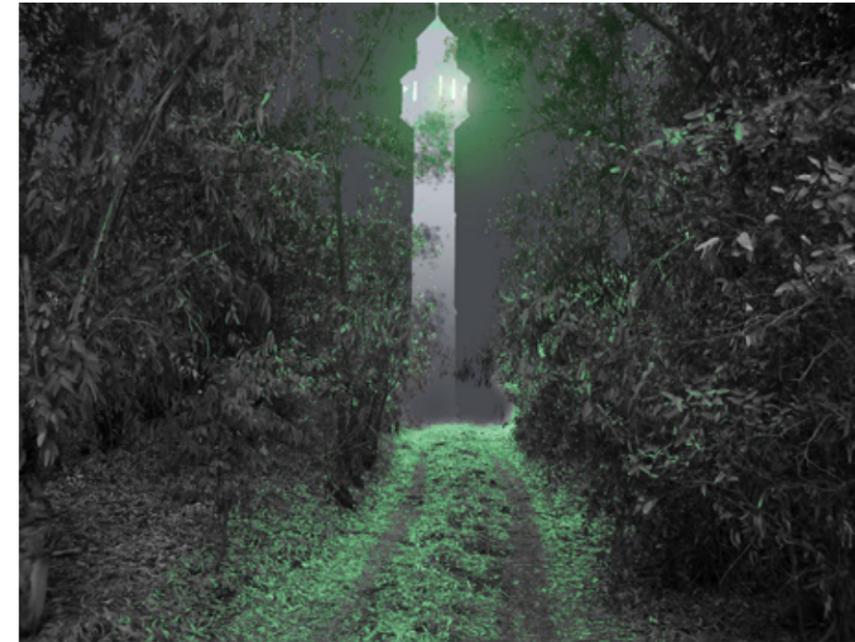
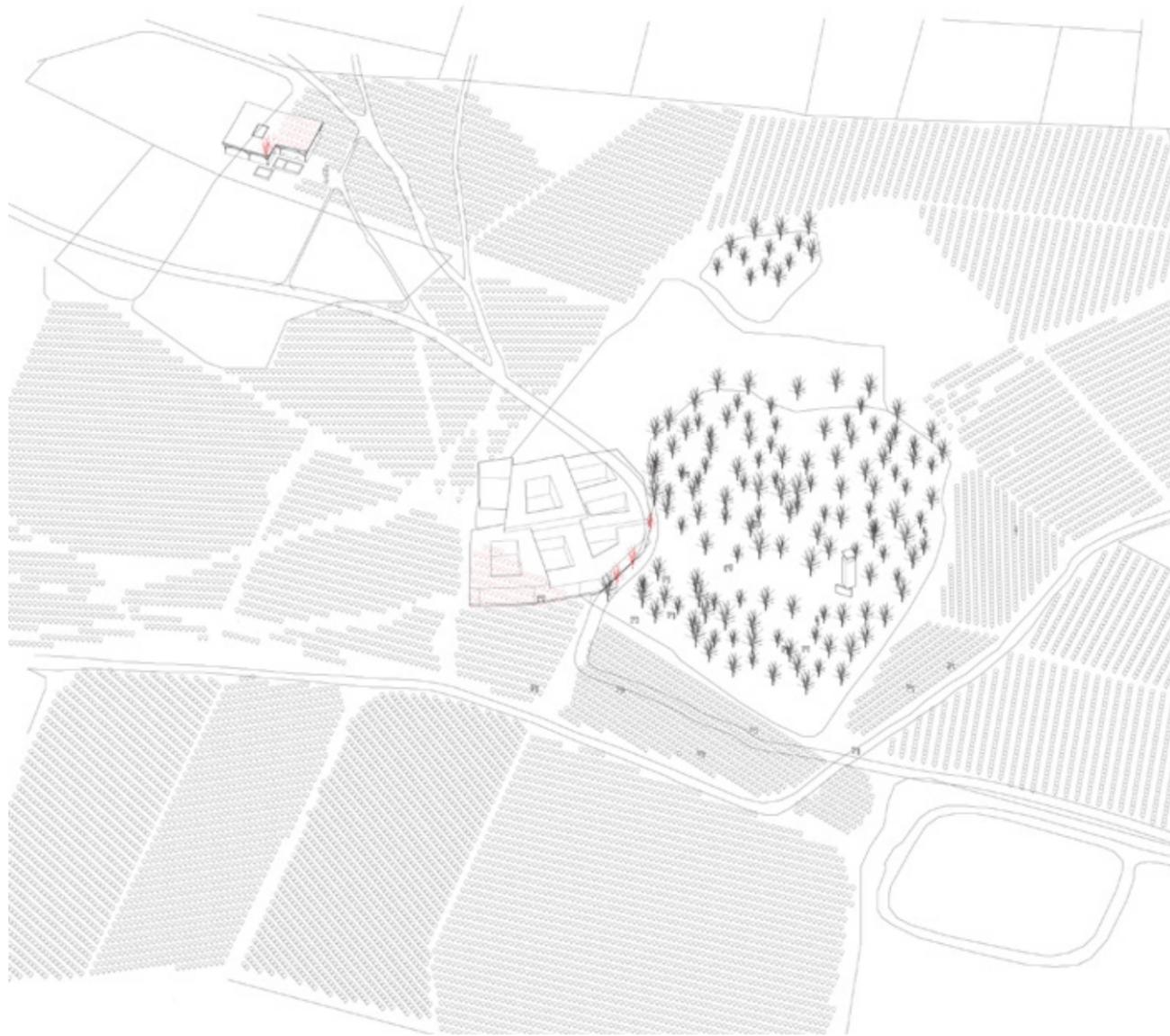
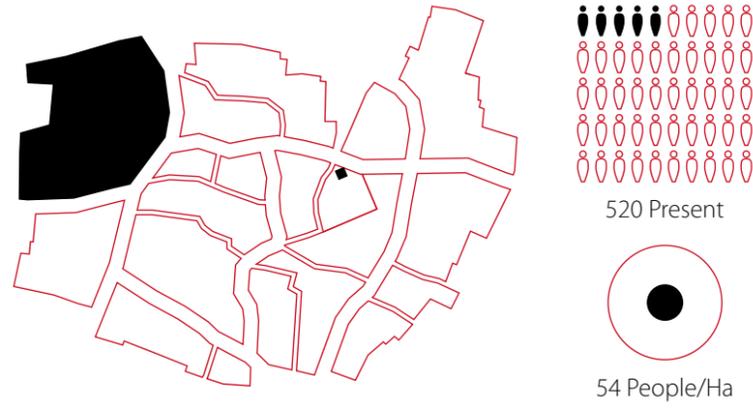
يمكن فهم هذه المرحلة، بدرجة كبيرة، على أنها الوضع الحالي. هو وضع يسمح بتدخلات رمزية مع توقعات لعودة فعلية. كما هو حال الفعاليات التي حصلت مؤخرا في مبنى المدرسة الابتدائية (التي سبقت عملية هدمها). تكمن القاعدة الأساس لهذه المرحلة في "ترسيم" العلامات لاستعادة موقع القرية.



ترسيم العلامات  
سلسلة من التدخلات الرمزية في الحيّز، ترمز إلى العائلات المهجرة والنسيج الاجتماعي للقرية.

## المرحلة الثانية

تعرض المرحلة الثانية العودة الرمزية للمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل، وهم مجموعة من السكان يحظون حالياً بدرجة معينة من قدرة الوصول الفعلي إلى الموقع، رغم إنكار حقوقهم في الأراضي، فيما تظل باقي العائلات في حالة من الغموض، وتظل أراضيهم بدون استصلاح. وإذا قرئت هذه الحالة كمرحلة عودة، فمن الممكن أن تكون هذه مسؤولية هذا الفريق الطليعي من العائدين أن يزرع المحفّزات التي ستؤدي إلى نمو القرية.

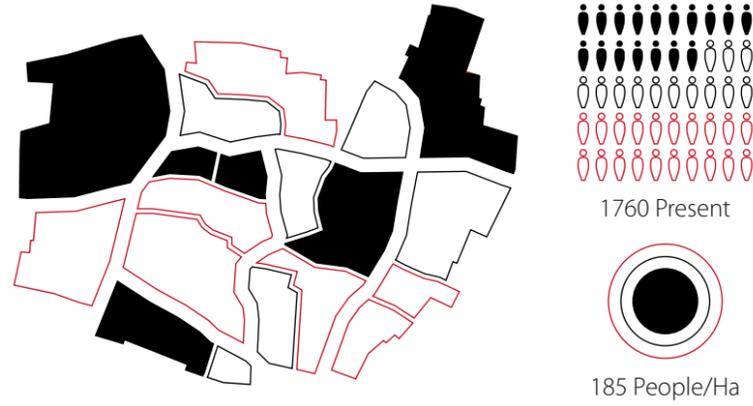


### تعزير المحفّزات

إن افتتاح المباني العامة الرئيسية ومنشآت البنى التحتية سوف يدفع عملية النمو ويحفظها. فالمئذنة لا تزال تعتبر دلالة هامة على الوجود الفلسطيني المتواصل على امتداد فلسطين- إسرائيل (وهي تغيب عن عدد قليل فقط من القرى الدرزية والمسيحية). إن هذا الاختيار الكوني تقريباً، لإضاءة هذه المآذن بالأضواء الخضراء ليلاً، تبدو مناسبة لإيصال رسالة رمزية من التحدي.

## المرحلة الثالثة

في هذه المرحلة، قد تمكنت بعض العائلات من الاختيار ما بين العودة إلى القرية أو البقاء كخائبة عنها، فيما يظل عدد آخر من العائلات ضمن مرحلة الغموض. وفي هذه المرحلة، سيبدأ القرويون العائدون، والذين تزايدت أعدادهم بنسبة عالية في الشتات، في " تكثيف " نواة القرية على الأرجح. وستشهد أراضي العائلات الأصلية توسعاً عمودياً، حتى تتحول إلى أحياء مدنية مكتظة.



### تأطير الغموض

تؤسس مرحلة عودة اللاجئين حالة من التمدن المركبة من فضاءات محددة وغير محددة. بناء مكثف للحضور يترافق مع مشاهد المحو التي تدل على العائلات التي لم يُحدد مستقبلها بعد أو تلك التي لا تزال غير قادرة على العودة.

## المرحلة الرابعة

في هذه المرحلة، كل أسرة مهجرة كانت قد اتخذت قرارها ما بين العودة إلى القرية أو البقاء كمهجرة. وستصبح الفراغات الناتجة عن الغياب فضاءات مشتركة محمية ضمن نسيج القرية. اقتراحنا هو أن تتم استعادة هذه الفضاءات بواسطة عملية "كشف الأرض". كما يتوجب النظر إلى هذه المرحلة فقط على أنها ذروة المرحلة الأولى من العودة: أي الانتقال من "الغموض" إلى "اليقين"، كوسيلة لبدء تسوية ظروف الشتات، وذلك بواسطة بناء حيّز معيشي يربط الماضي بالحاضر. أما المرحلة اللاحقة، فيمكن النظر إليها كاندماج مجدد. حيث سيعقب اتساع الرقعة المدنية للقرية على الأرجح تطوّر نحو الخارج، وارتباط متزايد مع البنى التحتية الإقليمية والقطرية.



### علامات الغياب

إن الخيار المحتمل لدى بعض الأسر أن تبقى في الشتات، سيؤدي إلى فراغات مستديمة داخل النسيج المدني المتشكل. وهي ستصبح حيّزات عامة مع فن معماري ناتج عن حوار بين طبقات الذاكرة والمحو والحضور.

سِدق - مجلة النكبة التي لم تنته، العدد ٦، أيار ٢٠١١  
نحو عودة لاجئين فلسطينيين

هيئة التحرير: عوفر كهانا، أسنات بار- أور، أيوب أعمار، نورمه موسي، إيتن برونشطين،  
تومر جردي، عمر الغباري  
المحرر: تومر جردي  
تصميم: عوفر كهانا وأسنات بار- أور، فرهسيه  
إصدار: جمعية "زوخروت" (ذاكرات)  
تحرير لغوي وتنقيح: عمر الغباري

الناشران: فرهسيه، زوخروت